



تقدير موقف

لماذا طرح موضوع التطبيع مع إسرائيل في السودان الآن؟

وحدة تحليل السياسات في المركز العربي | فبراير 2016

لماذا طرح موضوع التطبيع مع إسرائيل في السودان الآن؟

سلسلة: تقدير موقف

وحدة تحليل السياسات في المركز العربي | فبراير 2016

جميع الحقوق محفوظة للمركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات © 2016

المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات مؤسسة بحثية عربية للعلوم الاجتماعية والعلوم الاجتماعية التطبيقية والتاريخ الإقليمي والقضايا الجيوستراتيجية. إضافة إلى كونه مركز أبحاث فهو يولي اهتماماً لدراسة السياسات ونقدّها وتقديم البدائل، سواء كانت سياسات عربية أو سياسات دولية تجاه المنطقة العربية، وسواء كانت سياسات حكومية، أو سياسات مؤسسات وأحزاب وهيئات.

يعالج المركز قضايا المجتمعات والدول العربية بأدوات العلوم الاجتماعية والاقتصادية والتاريخية، وبمقاربات ومنهجيات تكاملية عابرة للتخصصات. وينطلق من افتراض وجود أمن قومي وإنساني عربي، ومن وجود سمات ومصالح مشتركة، وإمكانية تطوير اقتصاد عربي، ويعمل على صوغ هذه الخطط وتحقيقها، كما يطرحها كبرامج وخططٍ من خلال عمله البحثي ومجمل إنتاجه.

المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات

شارع رقم: 826 - منطقة 66

الدفنة

ص. ب: 10277

الدوحة، قطر

هاتف: +974 44199777 | فاكس: +974 44831651

www.dohainstitute.org

المحتويات

1

مقدمة

1

نفي أم تأكيد؟

3

تحولات السياسة الخارجية و الخيار التطبيع

5

خاتمة

مقدمة

صرح وزير الخارجية السوداني إبراهيم غندور في منتصف كانون الثاني/ يناير 2016 أنَّ السودان يمكن أن يدرس مسألة التطبيع مع إسرائيل¹. وقد جاء هذا الحديث إثر الأنباء التي أوردتها وكالة السودان للأنباء "سونا"، وهي الوكالة الحكومية الرسمية، أنَّ مسألة التطبيع مع إسرائيل موضوعة ضمن جدول أعمال لجنة العلاقات الخارجية لمؤتمر الحوار الوطني السوداني، الذي يجري حالياً في السودان. كما جاء في خبر "سونا" أنَّ أغلبية أعضاء لجنة العلاقات الخارجية بمؤتمر الحوار الوطني يوافقون على إقامة علاقات "مشروطة" مع إسرائيل.

نفي أم تأكيد؟

على الرغم من نفي الحكومة السودانية مسألة التطبيع مع إسرائيل، على لسان كُلِّ من نائب رئيس الجمهورية، حسبي محمد عبد الرحمن، ونائب رئيس مؤتمر الحوار الوطني إبراهيم محمود، ومع تأكيد الأخير أنَّ الحرب الحاكِم لم يناقش هذه المسألة في أيٍّ من اجتماعاته، فإنَّ الشواهد تشير إلى أنَّ التطبيع مع إسرائيل ظل خياراً يراود بعض قيادات حزب المؤتمر الوطني خلف الكواليس. فقد صرَّح والي ولاية القضارف السابق كرم الله عباس الشيخ في نيسان/ أبريل 2012 أنَّ هناك تياراً داخل حزب المؤتمر الوطني الحاكِم يوافق على التطبيع مع إسرائيل². وقد علّق حزب المؤتمر الحاكِم على هذا التصريح بأنه مجرد رأي شخصي. كما سبق أن طالب والي النيل الأبيض الحالي ورئيس لجنة الاستثمار والصناعة بالبرلمان سابقاً، عبد الحميد موسى كاشا، بالتطبيع مع إسرائيل، قائلاً: "ما دمنا قد قبلنا بأميركا فلنقبل بإسرائيل"³. وإضافة إلى تصريحات وزير الخارجية إبراهيم

¹ "غندور: سندرس مقترن التطبيع مع إسرائيل"، جريدة آخر لحظة السودانية، 15 كانون الثاني/ يناير 2016.

² جريدة ألوان السودانية، 20 تشرين الأول/ أكتوبر 2015.

³ المرجع نفسه.

غندور، لم يدحض رئيس القطاع السياسي في الحزب الحاكم، مصطفى عثمان إسماعيل، الفكرة من أساسها، بل قال إنّ اتخاذ قرارِ بقبول التطبيع مع إسرائيل أو عدمه إنما يعود إلى مؤتمر الحوار الوطني⁴.

إنّ وضع مسألة التطبيع مع إسرائيل في مثل هذا الإطار يجعلها تبدو مثل بالون اختبار لفحص ردود الفعل عليها، أو تعويد الناس على هذا الموضوع تمهدًا لقبوله. فتصريح عضو لجنة العلاقات الخارجية في مؤتمر الحوار إبراهيم سليمان بأنه لا يستبعد أن يكون التطبيع مع إسرائيل من ضمن التوصيات النهائية لمؤتمر الحوار الوطني، لا يبدو أنه صدر من فراغ، وبخاصة أنه نشر في وكالة "سونا" الرسمية.⁵

تزامن الحديث عن التطبيع مع وصول ناشطة سودانية مقيمة في كندا إلى الخرطوم بدعوةٍ من الحكومة للمشاركة في أعمال الحوار الوطني. وقد بدا لافتاً مدى احتفاء الحكومة بهذه الناشطة، ودعوتها إلى مؤتمر الحوار الوطني بوصفها شخصية وطنية مهمة؛ إذ استقبلتها في مطار الخرطوم حامد ممتاز الذي يشغل منصب الأمين السياسي لحزب المؤتمر الوطني الحاكم⁶. وبلغت الحفاوة بها حدّ السماح لها بمقابلة رئيس الجمهورية. ولكن، حتى وقت قريب جداً، كانت هذه الناشطة معارضة لسياسات الحكومة السودانية، وتحوم شبهات حول انخراطها مع جماعات صهيونية أميركية تنشط في قضية دارفور. وقد ساهمت هذه الجمعيات في استصدار أمر القبض على الرئيس عمر حسن البشير من محكمة الجنائيات الدولية. كما عُرف عن هذه الناشطة أيضاً تكوينها جمعية "الصداقة" السودانية - الإسرائيلية⁷، ما يدعم الشكوك في أنّ الحكومة السودانية منشغلة بالتقرب مع إسرائيل، فإسرائيل هي بنظرها مفتاح العلاقة بأميركا. إنّ احتفاء الحكومة بهذه السيدة التي لا وزن فكريًّا أو سياسياً لها، لا يخرج عن هذا الإطار. ويبعد أنه من منظور من طرح فكرة التطبيع، أنّ من أدى دوراً لدى أميركا وإسرائيل لفتح موضوع مشكلة دارفور، يمكنه أن يساعد أيضاً في غلقه.

⁴ "تبين داخل مؤتمر الحوار بالسودان حول التطبيع مع إسرائيل"، جريدة Sudan Tribune، 18 كانون الثاني/ يناير 2016.

⁵ "تبين داخل مؤتمر الحوار حول التطبيع مع إسرائيل"، جريدة آخر لحظة السودانية، 19 كانون الثاني/ يناير 2016.

⁶ "احتفاء الوطني والآية الحوار بوصول "تراجي" للخرطوم"، مركز الخدمات الإعلامية العالمية، السودان، 19 كانون الأول/ ديسمبر 2015، في: <http://goo.gl/chg4jx>

⁷ ناشطة سودانية تطلق جمعية للصداقة مع إسرائيل تضم 20 سودانياً، العربية نت، 6 تشرين الثاني/ نوفمبر 2006، في: <http://www.alarabiya.net/articles/2006/11/06/28859.html>

تحولات السياسة الخارجية وخيار التطبيع

جرت في الآونة الأخيرة تحولات حادة في السياسة الخارجية السودانية (من دون انتظار قرار من مؤتمر الحوار؛ ما يؤكد أنّ صاحب القرار في السودان هو الرئيس، ولا أحد غيره). وقد ظلت حكومة السودان تسعى جاهدة، منذ سنوات طويلة، إلى تطبيع علاقاتها مع الولايات المتحدة الأميركيّة، بغرض رفع عقوبات الأخيرة عنها. وقد تعاونت الحكومة السودانية مع الإدارّة الأميركيّة، تعاوّناً تاماً في مسألة فصل الجنوب، لكنها لم تجِن شيئاً مما وعدت به. كما تعاونت معها في ما سُمي "محاربة الإرهاب"؛ إذ زار رئيس المخابرات السودانية واشنطن، وسلم الأميركيّين قوائم بأسماء "إرهابيين خطرين"⁸. غير أنّ تلك الخطوة لم تأتِ أيضاً بمروودٍ تجاه رفع العقوبات؛ فقد ظلت الإدارّة الأميركيّة تجدّد هذه العقوبات بصورة مستمرة.

أثرت العقوبات الأميركيّة تأثيراً كبيراً في الاقتصاد السوداني الضعيف أصلاً؛ فقد ازدادت الضغوط عليه عقب انفصال الجنوب في عام 2011، من خلال أيلولة ثلثي الإنتاج النفطي السوداني إلى دولة الجنوب الوليدة. ومع اشتعال الحرب الأهليّة في جنوب السودان، واضطراب الأحوال فيه، انخفض إنتاج النفط الجنوبي بصورة حادّة، وتدّهرت أسعاره إثر انخفاض أسعار النفط عالمياً. وقد أدى تراجع الإنتاج والأسعار إلى انخفاض حادٍ في ما يناله السودان من رسوم عبور نفط جنوب السودان لأراضيه، ومن استخدام حكومة جنوب السودان لأنابيب السودان وموانئ التحميل على ساحل البحر الأحمر⁹. وقد تقسّر هذه الضغوط المتّوّعة للتغييرات الحادّة الأخيرة في السياسة الخارجية السودانية.

لقد شرع الرئيس البشير، عندما وصل إلى الحكم في عام 1989، في ترجيح كفة إيران إستراتيجياً على دول الجوار العربي في الخليج ومصر، وذلك بسبب العلاقات المتّوتة بين السودان وجيرانه العرب. ومن جانبها،

⁸ Scott Shane, "C.I.A. Role in Visit of Sudan Intelligence Chief Causes Dispute Within Administration," *The New York Times*, June 18, 2005, at: <http://goo.gl/ubZq7O>

⁹ أورد موقع The American Interest، ما نصه: "لا تزال العقوبات الأميركيّة تعض الخرطوم، ويبدو أن التأثير يغدو أكثر خطورة في هذا الوقت الذي تتراجع فيه أسعار النفط ويتراجع فيه الاقتصاد الصيني"، في: "Detente? Why Sudan Is Suddenly Playing Nice," *The American Interest*, January 28, 2016, at: <http://goo.gl/0ncVOt>

ألفت إيران بثقلها في السودان بوصفه موطئ قدم حيوية؛ وهو ما يمكنها من تعضيد وجودها العسكري في البحر الأحمر والضغط على السعودية من جهة الغرب. كما رأى الإيرانيون في السودان نقطةً بالغة الأهمية لانطلاق في خططهم نحو التغلغل والانتشار في أعماق أفريقيا جنوب الصحراء. وقد ساعدت إيران السودان في إنشاء أجهزته الأمنية، كما ساعدته في تطوير صناعاته العسكرية. وانتشرت عبر العقود الماضيين المراكز الثقافية الإيرانية فيه. ولكن، في أيلول/سبتمبر 2014، أصدرت الحكومة السودانية قراراً بإغلاق المراكز الثقافية الإيرانية في البلاد، بتهمة أنها تبشر بالمذهب الشيعي، مع أنَّ هذا التبشير كان قائماً لسنوات عديدة، وأمهلت موظفيها اثنين وسبعين ساعة لمعادرة البلاد. وقد كانت تلك أولى الإشارات الدالة على أنَّ الحكومة السودانية بدأت أولى خطواتها في طريق العودة إلى المنظومة العربية، وبخاصة الخليجية.

وباتخاذ قرار إرسال لواء من المشاة إلى اليمن، مع عددٍ من طائرات السوخوي، للمشاركة في "عاصفة الحزم" إلى جانب التحالف العربي بقيادة المملكة العربية السعودية، يكون السودان قد اتخذ قرار القطيعة التامة مع إيران التي تدعم قوات الرئيس السابق علي عبد الله صالح وجماعة الحوثي. وحين جرى الاعتداء على السفارة السعودية في طهران ردًا على إعدام المعارض الشيعي السعودي نمر النمر، ضمن عشرات ممن حاكمتهم السعودية بتهمة الإرهاب، بادرت حكومة الرئيس البشير إلى قطع علاقاتها الدبلوماسية مع إيران تضامنًا مع السعودية. وقد تخطى السودان في قوة الإجراء الذي اتخذه تجاه إيران بعض الدول الخليجية التي اكتفت بتخفيض تمثيلها الدبلوماسي.

ويبدو أنَّ الحكومات العسكرية السودانية، ونعني بها هنا تحديداً حكومات الرئيسين جعفر النميري وعمر البشير، قد دفعت إلى أبعد مدى ممكناً العبارة القائلة: "ليس في السياسة صديق دائم، كما ليس فيها عدو دائم". فحين أصبح الوضع الاقتصادي في البلاد على حافة الانهيار، وزاد ضغط المعارضة على نظام النميري في النصف الأول من ثمانينيات القرن الماضي، لجأ إلى "تطبيق" الشريعة الإسلامية عام 1983. وبعد عام واحدٍ من تطبيق الشريعة، دخل في صفقة مع الإسرائيлиين والإدارة الأمريكية، والتي سمح السودان بموجبها بترحيل الآلاف من يهود الفلاشا الإثيوبيين، من إثيوبيا إلى إسرائيل عبر أراضي السودان، في ما سمي "عملية موسى". وظنَّ النميري، الذي نال نظير موافقته على تنفيذ تلك العملية مساعدات بقيمة 200 مليون دولار إضافة إلى 60 مليون دولار كانت قد وصلت إليه بصورة عاجلة، أنه اشترى عمرًا جديداً لنظام حكمه، فغادر إلى واشنطن عقب

انتهاء تلك العملية لнациٰ الثناء ومزيد من القبول. غير أنّ انتفاضة شعبية عارمة اندلعت ضد نظامه، وهو خارج البلاد. وانحازت القيادة العسكرية للشعب، فسقط نظامه، وانتهى نميري منفيًا في مصر.

خاتمة

تشير كل الدلائل إلى أنّ مسألة التطبيع مع إسرائيل، سواءً أكانت حقيقة أم ظلت في إطار التصريحات والاختبارات، قد أصبح التفكير فيها كأحد أطواق النجاة الممكنة للنظام الحاكم من أزماته، وأصبحت ضمن ما يشغل النخب الحاكمة. عمومًا، فإن التحولات الحادة في السياسة الخارجية، حيثما جرت، إنما تدل، بقدر ما، على تأزم الأوضاع الداخلية بصورة بالغة الحدة.

وقد أظهرت نتائج المؤشر العربي الذي أجراه المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، أن نسبة قبول التطبيع مع إسرائيل بين السودانيين في عام 2015، كانت الأعلى في العالم العربي (18 في المئة مقارنة بـ 16 في المئة في مصر ولبنان)¹⁰، على الرغم من أنها تبقى صغيرة. ويبدو أنّ عوامل مثل تدهور الأحوال المعيشية وتفسّي البطالة وانسداد الأفق في ظلّ أنظمة استبدادية قد ساعدت على بروز هذا الميل. وفي حالة السودان، ثمة ما يدل بصورة أكبر على هذا التحول، وهو ارتفاع نسبة الشباب السودانيين الذين يهاجرون إلى إسرائيل. ويمكن للمرء أن يلحظ نشوء علاقة أخذت تبرز وسط قطاع من الجمهور العربي بين سوء الأحوال الاقتصادية وانعدام الفرص وتمكن الاستبداد من جهة، والابتعاد عن الهم العربي المشترك والقضايا العربية، من جهة أخرى. وفضلاً عن أنّ الاستبداد هو الأبعد عن الهم العربي، فهو في الوقت ذاته الأكثر تنفيًراً للناس منه، وهو - أي الاستبداد - يرتكب جريمة بحق قضية فلسطين نفسها حين يستخدمها في الدعاية لسياساته.

ويلاحظ أنّ اليأس من الحالة العربية يزداد في الأقطار العربية التي تقع على تخوم الوطن العربي كالسودان والصومال، حيث تعيش أيضًا أقوام غير عربية تشعر بالاغتراب عن الدعاية التي تمارسها الأنظمة الحاكمة. كما يمكن ملاحظة نشوء شعور بانعدام الجدوى من الوقف في الصدف العربي وسط قطاعات من شباب هذه

¹⁰ "المؤشر العربي 2015: التقرير الكامل"، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 22 كانون الأول / ديسمبر 2015، في: <http://goo.gl/3d8cc6>

الأقطار، وبأنّ الارتباط بالمشترك العربي قد يعوق أكثر مما يساعد. وهذا تصور معطوب من دون شك، ولا يصلح لتقسيير تردي الأحوال في بعض الأقطار العربية. ومع ذلك، لا بد من التفكير بصورة أعمق وأوسع وأكثر جدية في ما يجري من تفكّك وتشظٍ في المنظومة السياسية العربية. فالفراغات التي تنشأ وسط الأقطار العربية لا تبقى شاغرة، وإنما يملؤها الآخرون.

لقد مرت على الأقطار العربية زعامات اتجهت نحو التطبيع مع إسرائيل، فلا حلّت قضية التنمية ولا قضية الاستبداد. وما حصل هو العكس، فقد ازدادت الفجوة بين هذا الانظمة ورأيها العام. لقد كان هدف هذه الزعامات مقايضة الرضا الأميركي بالتخلي عن القضية الفلسطينية لأهدافٍ متعلقة ببقاء النظام، وليس بهموم الشعوب ذاتها. وهذا ما يجري في السودان حالياً. ولكن أميركا تدخل بالرضا قبل الخصوص لشروطها كلها، وغالباً ما لا يسعف هذا الرضا الغالي الثمن نظام الحكم، بل يعقد علاقته بشعبه.